رواية

عشق في وطن المنافي

شكري خابور

مكتبة الأسرة العربية
اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - İSTANBUL

عشق في وطن الخطايا

1. Baskı: İstanbul

2021 - 1442

رواية

عشق في وطن الخطايا

تأليف: شكري خابور

مكتبة الأسرة العربية اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL

عشق في وطن الخطايا

تأليف: شكري خابور

ghareeb222222@gmail.com
00905392265786

القياس: 13.5 X 20.5 سم

عدد الصفحات : 136 ص

ISBN: 978-605-7618-59-7

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحفُوظَة

مكتبة الأسرة العربية® اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL

طباعة ونشر وتوزيع
إصدارات مُختارة للأسرة العربية

www.arabfamilybs.com
(+90 212 631 81 09 - +90 531 935 71 31
info@arabfamilybs.com

UFUK neşriyat®
BASIN-YAYIN-DAĞITIM

Sertifika No: 35657

UFUK NEŞRİYATIN.® TÜRKİYE BASIM YAYIN MESLEK BİRLİĞİ ÜYESİDİR.

Baskı Cilt: baskı Yılmaz Basımevi (Mat. Sert. Nu: 49749), kapak baskısı Salkım Ofset'te gerçekleştirildi

الإهداء

إلى مدنٍ كانت هنا...

وأمست رماداً في قبور الذاكرة

إلى أولئك الذين تفوح من عطر تضحياتهم

رائحة الحياة

أيها العابرون في مدن لغتي اقرأوا هزائمي باحترام

الأوطان المولودة من رحم القوميات
هي ملاجئ مؤقتة لشعوبها

عندما نعلن الحب في زمن الحرب
نحن نصنع أوطاناً جديدة تأوينا
برد المنافي وصقيع العزلة

المؤلف

مُقَدِّمَة

هو رجل التاريخ، يمطر أحداثاً بسخاء، ويخبِّئ في صمته، معجزات لغوية..

فيها شفاءٌ من كل إعاقةٍ تضرب جسد اللغة بالشلل..

وأنا.....

طبيبة بارعة في إجراء أيِّ عمل جراحي يصيب رحم العبارة بالعقم..

جمعتنا صدفةٌ ما، في أثناء تحرَّشات أقلامنا ببعضها على النافذة الزرقاء.

لنصل إلى هدنة تهمس في بنودها عن عشقٍ مؤجَّل مقرون بكتاب شرعي، حتى يلج الجمل من سم الخياط، أو يشفى الوطن من سرطان الحرب الذي فتك بجسده وتركه، يحتضر وحيداً على سرير العزلة.

مضت ثلاثة أشهرٍ على اعتقاله، غيابه أحدث فجوةً في خاصرة التاريخ، وتصدُّعاتٍ في جدران قلبي، وحرائق أشعلت غابات أنوثتي، في نيران غيابه المفاجئ.

كان مدرِّساً متميِّزاً في مادة التاريخ، حصَّتُه الدراسية تغري الطلبة بالحضور دون انقطاع.

قال أحد تلاميذه: كان الأ ستاذ خالد يعرِّي التاريخ من معاطفه، التي تخفي الحقائق في بطاناتها، وينقلنا إلى الحدث الحقيقي، الذي اندثرت دهشته، تحت أغطية أقلام الرواة المنافقين، المأجورين كعبيد للسلطة، فإذا ما انتهت حصته الدراسية، صمتت الأشياء من حولنا، وكأنَّ التاريخ توقَّف لحين عودته.

ومع اندلاع الثورة السورية في ١٥ـ٣ـ ٢٠١١م انطلاقاً من مدينة درعا، ليزحف زئيرُها إلى كل المدن الأخرى، وليحجب غبارها آخر خيط للنور قد شهدته البلاد قبل ولادة الحدث التاريخي.

مات أبوه برصاصٍ طائش، نتيجة خلاف نشب بين جماعات مسلَّحة، تسلَّقت مجد الثورة برمورَ وطنية وهمية، واندسَّت بين صفوف الثوَّار بأسماء دينية، وتمكَّنت من خدمة السلطة سرِّيًّا، ونهب مقدَّرات الأهالي مستفيدةً من السلاح النوعي الذي تملكه، ولم تكتفِ بذلك فقط، بل عمدت إلى اتِّباع أساليب الخطف مقابل فدية مالية باهظة للإفراج عن الرهينة المختطفة.

قال خالد وقتها: الثورات العمياء التي تفتقر للتنظيم والقيادة الحكيمة تشبه سفينة بلا قبطان وسط بحر هائجٍ، أينما توجَّهت كان مصير ركابها الغرق والضياع.

علينا أن نتماسك من هذه اللحظة في مواجهة مسألة الأقنعة المتساقطة، كي نتمكَّن من إتقان ترتيب آلامنا، والتعايش مع عجزنا بأقل الخسائر.

اعتقلته الأجهزة الأمنية على أحد حواجزها، بسبب نشاطه الإغاثي في المدينة، هو يدرك تماماً، أنَّ الأجهزة الأمنية في بلادنا تغتال الروح قبل الجسد، من خلال قذارة أساليبهم في التحقيق، وطرق تعذيبهم الوحشية.

فمن أدركه الموت بين أيديهم أمسى حرًّا طليقاً، ومن أُطلِق سراحه تلوَّنت روحه بكل ألوان الذل والإهانة، واغتاله الوسواس القهري بالصمت القاتل، ولم يعد لدى عقله طاقة، لاحتواء تفاصيل مراحل تعذيبه، فيتحوَّل إلى وحش كاسر بعدما سَلَبَتْ منه الأجهزة الأمنية هوية انتمائه للإنسان الكامن بداخله.

وما أكثر الرفاق الذين دُفِنُوا أحياءً في مقابر السجون، فما عادت الحياة تغريهم بشيء بعدما سحبت الحكومة كل أرصدة كرامتهم من بنك أرواحهم، وتركتهم بقايا من بقايا إنسان.

الفوضى تعمُّ البلاد، مظاهرات سلمية ملأت أرجاء الوطن، بعدما خلع الشعب ثياب الخوف، وارتدى معاطف الحرية يقيناً منه أنَّها تليق بعرس الوطن الجديد، ولم يكن يدري أنَّه لبس كفنه قبل موته.

ركامٌ، وأشلاءٌ، ودمارٌ، واعتقالاتٌ، واغتصابُ حرائرٍ، وقتلُ أبرياء بدم بارد، وسياسةٌ جرَّت البلاد نحو خراب توغَّل في مفاصلها كصداع لا شفاء من آلامه أبداً.

خراب جعل الأصوات تصمت في حناجرها، وتختار صوت الرصاصة بديلاً لأغنيات الحرية، وهذا ما كانت تحلم به الحكومة، دون أن تدري أنَّها حفرت قبرها بمحض إرادتها.

تراكماتٍ لصور مؤلمة في معرض الوطن، تَتسلَّل لذاكرتي على هيئة وجع لا نهاية لحجمه... يُشبه قيامة كبرى حدثَتْ قبل أوانها.

القصف يصيب أحشاء المدينة، والرعب يسكن ذاكرتها، وهدير الطائرات يصعقُ في بوقه الآذان لإسكات تلك الحناجر دون جدوى...

وسط هذا الخراب، الذي استنفذ كل ذخيرة مناعتي لتحمّله، كان وجه خالد يطاردني كالقدر المحتوم، ويستفزّني في لغة الغياب وذاكرة الانتظار المتعبة،..

الغياب هجمة عشقية تفترس القلوب في مخالب الانتظار، وتلتهم الأرواح في هشيم الحنين.

هل سيعيده القدر لي؟؟؟

كيف أحترس من تفاصيله وأناقة حرفه؟؟؟

ولم يترك بابا موصدا في قلعة أنوثتي، إلّا اقتلعه بسطوة لغته الجهنمية

أنا التي سأصبح طبيبة بعد أشهر قليلة، لأرمّم جراح القلوب والأجساد لم تعد لديّ قدرة لأرمّم فجوة غيابه بجدار الصبر.

تتكاتف الأيادي، وتتعالى الهتافات بأغاني الحرية، لتعلو على صوت الخونة المعتوهين الذين خرجوا من مراحيض أسيادهم، ليغتالوا برصاص بنادقهم أشبال الحرية.

حشود كثيرة، خرجت تتقيّأ حليب الشعارات المزيّفة، الممزوج بنكهة القوميات الوهمية، وخطابات الممانعة الكاذبة، يقيناً من تلك الجماهير،..

أنّ تلك الأوطان المولودة من رحم القوميات هي ملاجئ مؤقتة

لشعوبها، ومقابر جماعية مستثمرة من حكومات خارجية لدفن أحلامها،..

ومنافي لأرواح فقدت صلاحيتها في الحياة مجرّد استنشاقها عطراً اسمه حرية،..

أربعون عاماً تناوب على حكم البلاد، عائلةٌ مهووسةٌ، بداء الخلود الأبدي، متوهمة أنها آلهة لن تتهاوى عن عروشها،..

أبداً، لذلك عملت جاهدة على تطوير كلابها البوليسية، لتشتمَّ رائحة كل كائنٍ يحاول الاقتراب من صرحها المقدّس.

ومع مرور الزمن تلوَّثت البلاد روحيا، وفسدت فيها القيم والمبادئ ليفسد معها المعنى الجوهري للإنسان، وهذا ما حصل في معظم البلاد العربية التي أيقظت بسياساتها القذرة تجاه الإنسان، حس المواطنة فيه ليخرجَ كالمارِدِ من قمقمه ويغيّر بمساره الثوري خارطة انتمائه للإنسان المتبقّي فيه.

وبعد أن أصاب إعصار النضال الثوري كل مفاصل البلاد لجأت الحكومات العربية إلى مساندة بعضها لتحافظ على عروشها المقدسة من الانهيار.

لذلك انتهجت سياسة الحرب الأيدولوجية المبنية على الدين والطائفة لتكسب الأقليات في صفوفها وتحدث شرخاً في المسار الثوري، وتتلقى دعماً لوجستياً من قوى العالم العلماني المناهض للدين وحرية الانسان العربي وهذا ما حصل في بلادنا حيث زرع النظام وأعوانه بذور الجماعات الإسلامية المتطرفة في واحة الثورة، وبدأ التحول الحاسم لمسار الثورة،

يغيّر مجراه نحو هاوية الضياع، بسبب سذاجة قادته العفوية، وغياب الوعي للجماهير، لتسليط الضوء على سلوك القادة الإسلاميين وتطلعاتهم السياسية للمستقبل، التي خدمت النظام من خلال اتّباع سياسة الرؤوس المقطوعة، متذرّعة ببراهين دينية.

لقد نجح النظام من خلال هذه الخطّة في استقطاب الرأي العالمي للتعاطف معه ومساندته في محاربة الإرهاب، ومضى يمارس القمع دون قيود من المجتمع الدولي وتمكّن من بتر بعض الأعضاء من جسد الثورة، لتصبح عرجاء، بسبب غياب الوعي السياسي عن دستور قادتها، وافتقارها لآراء المثقفين، الذين أقصتهم الظروف عن الخوض في غمارها، والتخطيط لأهدافها السامية..

أحاول استدراج عينيّ لفخ النوم، تبوء محاولاتي بالفشل..

تنقلني الذاكرة من صور الخراب المعلقة على جدران الوطن إلى السجون ذات الاقبية المتعفنة في باطن الأرض من شدة الرطوبة، وزنزانةٍ على مقاس لحد مملوء برائحة الإنسان الحر الذي انتزعت منه أدوات التعذيب جلده، وصوته، وعقله، وأحلامه، وتركته يشاهد موته وهو ما زال حيّاً.

هؤلاء المعتقلون، هم آخر سلالة الأنبياء الذين صدحوا بصوت الحق في زمن الكفر، كل ما بقي لهم من شدو تراتيل رسائلهم الإيمانية، صراخهم على إيقاع الموت البطيء، الذي يعزفه سوط الجلّاد السابح في دمائهم النقيّة..

سياطٌ فتحت في تلك الأجساد جراحاً فاغرة، يصعب على المدى البعيد ترميمها وإعادة لون الياسمين لظلمة أرواحها.

ماذا فعلوا بك يا خالد؟؟؟

كم عليَّ أن أجهد اللغة لأصوغ عبارة تليق عزاء لك حين تخرج من السجن.

ربما أكون عاجزة عن صياغة كلمة واحدة في دهشة حضوره، لكنني قادرة على امتصاص كل أوجاعه في قلبي الباكي عليه أنهارا من دماء في غيابه.

وماذا ستقول امرأة تائهة، في مرايا الغياب، لرجلٍ يسير على جمر الحياة بقدمين حافيتين وهو يبتسم.

رجل أشعل حرائق أنوثتها في زيت كبريائه الحارق، وتركها تتلو صلوات العشق الأخير على رمادها المتناثر في صحراء عينيه الغارقتين بكثبان الحزن،..

يغريني فنجان القهوة في مقهى حروفك.

تلك الحروف التي أضرمت حطب الصمت في غابات روحي ضجيجاً لغوياً شرساً ومنحت قلمي المشرد لجوءاً فضولياً لاقتحام كل تفاصيلك.

كم يلزمني من سحر عبارة مقدسة لأعيد بقدسيتها للميت حياته.

أيها الغائب الحاضر:

عشقك ترفٌ من الخيبات، وذكرياتنا دثّرتها في معاطف قلبي كي لا يغتالها لصوص الاحلام في بلدي،..

لا تجعلني أعيش خرافة البقاء دونك.صرخاتك التي تصلني، على دفعات من الألم لتقتل غريزة الحياة فيني بعدك.

متحرّرةٌ من كل قيود العبودية ومقيدةٌ في تفاصيلك النقيّة،

ما أقساك بالغياب.

وما أشهاك من رواية عشق لم تكتمل بعد،..

صرخاتك المدوية كبوق إسرافيل، طاهرة كسجادة الصلاة لأنك أسبغت وضوئها بماء الحرية ودموع المظلومين..

لا تسرق أحلام ثورتي العشقية بك، كما سرق لصوص الثورة أحلام الياسمين من عيون الوطن، واستر روحي العارية، في معاطف لغتك.

التاريخ دونك منفياً عن ذاكرة المدن، يعاني من غيبوبة الضجر، مرمياً في نفايات النسيان، ومستلقيا بصمت على أضرحة قبور الأحياء..

لقد بتر الخوف ألسنة الملوّثين بداء الصمت، عن قول الحق، ظنوا بأنهم أحياء في وطن سجنهم في ظلمة عبوديته، فأصابتهم لعنة الذلّ للابد.

عد لي أيها الرجل كي تطعمني قوت العظماء الذين يطعمون أرواحهم للموت،..

لتعود زهوة الحياة تلوّن وجودنا بألوان المجد.

لا تمت ...

قبل أن أسند رأسي على صدرك، رأسي الذي بات يسكنه ضجيج الغرباء وهمجية اللغة المغولية في آذان المدن.

آه ..... يا خالد..

ليت الأقنعة لم تسقط لحافظنا على الجزء المتبقي من الحلم في عيون هذه المدينة،..

كم هو مؤلم ؟!!

أن تغتال حرب عمياء انتماءك للأشياء الجميلة حولك.

أخبرني يا رجل التاريخ:

كم أحتاج من أعمار إضافية للصبر لأعيد ترتيب فوضى اوراق أعمارنا المبعثرة على ارصفة الموت، تحت ركام الأبنية الساكنة قهراً في عيون اليتامى.

أي رجل أنت يغزوني بفاجعة وطن ؟؟!

وأي إيقاع لغوي أستجدي به للسؤال يوماً ما عن حالك ؟ والأسئلة في حضرة الغياب غبية تفسد مزاج الحنين.

صوت كخرير الماء العذب ينقذني من جوع الأجوبة لأسئلتي الخرساء.

إنها أمي التي تقضي معظم وقتها غارقةً في الصلاة والعبادة،

أتشابه وإياها في القدر والوحدة ولا نتشابه في مقياس السعادة.

لها أخ وحيد، لم تراه منذ عشر سنوات ولم تسمع عنه سوى خبر موته بأزمة قلبية، بسبب حزنه على عائلته التي دفنت تحت الأنقاض بسبب قصف الطيران العشوائي.

عند ولادتي استأصل الأطباء رحمها بسبب كتلة سرطانية لأكون ابنتها الوحيدة المترفة بالدلال.

تزوجت أبي الموظف البسيط الذي لم يذق طعم الراحة أبداً كان ينحدر من سلالة عائلة فقيرة، لذلك كان يجيد سياسة الاعتدال في الإنفاق لكثرة ما عانى من مرارة الحاجة، ونظرا لذاكرته المليئة بقسوة الحياة ومتطلباتها،..

والتي جعلت منه رجلاً حكيماً بسبب الطابع الهزلي لوظيفته التي جعلت من أحلامه نجوم ظهر غائرة.

كان يقول دائماً:

الناس الشرفاء هم أموات في توابيت الحياة وأحياء في ردهات قبورهم المضاءة بأنوار صبرهم وعفة ضمائرهم.

وحدهم العظماء أولئك الأشخاص المدمرون من الداخل الذين يُفتّتون شظايا صدمات الحياة بمرارات جراحهم الصادقة ويفككون الغام الوجع من حشوة اليأس بقوة أيمانه.

الإنسان العظيم لا يستسلم أبداً بل يوزع جيوش صبره على فواصل أوجاع الزمن، وكل فاصل زمني تولد منه حكاية تناغي الحياة في زمن الموت بالمجان.

حربٌ ظالمة جعلتنا نرقص حفاة على جمر المعاناة ونلهث عطشى وراء الموت كي يحررنا من أحزاننا القاسية.

شكري خابور

ولد شكري خابور في مدينة حلب من مواليد 1972 تخرج من معهد اعداد المعلمين ونال وساما تربويا بسبب تحويل بعض دروس المناهج المقررة إلى نصوص مسرحية
في المدارس الحكومية كما شارك بأمسيات شعرية في عدة مناسبات كما نال ثناء على قصائده من الأستاذ محمود فاخوري رئيس نادي التمثيل العربي للآداب

عشق في وطن الخطايا

أيها القارئ: الكلمات التي تعجز عن الانغماس في عتمة جراحنا تبقى جائعة على مائدة الصفحات
فلا تستغرب كيف يموت الحب في وطن الخطايا ؟؟؟
وكيف تصبح ملاعب الطفولة مقابر للشهداء ؟؟؟
وكيف يباع الحزن مجانا على ارصفة المدن المنسية ؟؟؟
فإذا تجوّلت في مدن روايتي ستجد نفسك أشهر أبطالها
لأننا توأمان ولدا من رحم أوطان تجيد وضع أحلامنا تحت
الإقامة الجبرية بامتياز لذا جرح وجرح اثنان وأنا وأنت أيها القارئ شقيان

KORSANI DEĞİL BENİ OKU
TÜYM

ISBN 978-605-7618-59-7
9 786057 618597

اسطنبول
مكتبة الأسرة العربية
نحو أسرة عربية واعية
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - İSTANBUL
طباعة ونشر وتوزيع
إصدارات مُختارة للأسرة العربية
UFUK neşriyat
BASIN-YAYIN-DAĞITIM

www.arabfamilybs.com
+90 212 631 81 09
+90 531 935 71 31
info@arabfamilybs.com